واحد وخمسون عامًا على الإحراق

مخاطر محدقة بالأقصى

إحراق الأقصى

1969/8/21

مؤسسة القدس الدّولية

al Quds International Institution (QII)

إعداد: قسم الإعلام

مؤسسة القدس الدولية

2020/8/20

واحد وخمسون عامًا على الإحراق:
مخاطر محدقة بالأقصى

لم تكن جريمة إحراق الأقصى قبل 51 عامًا، تحديدًا في 1969/8/21، الجريمة الأكبر في تاريخ المسجد، لكنّها سلطت الضوء على الخطر الذي يواجهه الأقصى تحت الاحتلال الذي كان شريكًا في الجريمة التي لا يبدو أن تنفيذها في المقام الأول كان ممكنًا من دون تساهل الاحتلال، وكذلك التعاطي مع الحريق وتأخير وصول سيارات الإطفاء، ومن بعد ذلك مع منفّذ الجريمة الذي وفّر الاحتلال غطاء لفراره من العقاب.

يتكرر المشهد اليوم: حريق الأمس مستمر، وإن أخذ شكلًا آخر أو طبيعة مختلفة؛ هو حريق ناره محاولاتٌ لتغيير الوضع القائم، واعتداء على الوصاية الأردنية ودور الأوقاف، وإفراغ المسجد من أهله وملاحقتهم بالحبس والإبعاد، وتعزيز الوجود اليهودي في المسجد عبر تكثيف الاقتحامات والسماح بالصلوات والطقوس التلمودية فيه. وتتعاظم خطورة هذه الاعتداءات في ظل الدعم الذي تقدمه إدارة ترامب لدولة الاحتلال وتبنّيها الرواية

وهو تراجع وصل إلى توقيع اتفاق سلام بين الإمارات ودولة الاحتلال في 2020/8/13، في الوقت الذي لا يزال المقدسيون ومعهم فلسطينيو الداخل المحتل عام 1948 خطّ الدفاع الأول عن المسجد على الرغم من محاولات الاحتلال تقويض إرادتهم وعزيمتهم.

ويمكن إيجاز الاعتداءات الإسرائيلية على الأقصى ضمن المسارات الآتية التي تهدف في المحصّلة إلى تغيير الوضع القائم في المسجد لمصلحة الرّواية الإسرائيلية.

محاولات حثيثة للسيطرة على باب الرحمة

لم «يتصالح» الاحتلال مع النتائج التي أدت إليها هبة باب الرحمة في شباط/فبراير 2019 التي تجلت في إزالة الأقفال عن البوابة المؤدية إلى باب المبنى، واستعادته كمصلى أغلقه الاحتلال منذ عام 2003 بذريعة استعماله من قبل لجنة التراث التي صنفها الاحتلال على أنّها إرهابية. وعلى الرغم من «انحنائه» حتى تمرّ عاصفة الحراك الشعبي في بداية هبّة باب الرحمة، ومحاولة الاتفاق مع الأردن على إغلاق باب الرحمة تحت ذريعة الترميم، لم يلبث أن حاول استعادة الإمساك بزمام المشهد، وإعادته إلى مربع الإغلاق الذي فرضه في عام 2003. وكانت أدواته في هذا الإطار اقتحامات متكررة، واعتقالات بحق الحراس الذين يفتحون المصلى والمرابطين الذين يعمرونه ويصلّون فيه، ومصادرة سجاد الصلاة وخزائن الأحذية وكل ما من شأنه أن يدل على أنّ باب الرحمة مصلى. لكن كل محاولات

الاحتلال لم تصل به إلى تحقيق هدفه إذ كان الثبات الشعبي في وجه هذه المحاولات هو سيد الموقف، وكانت جماهير القدس بالمرصاد لمنع الاحتلال من تقويض الإنجاز الذي أمكن تحقيقه في هبّة باب الرحمة. ومع هذه الاعتداءات، لا يزال الاحتلال يحاول السيطرة على باب الرحمة عبر المسار القضائي، حيث أبلغت شرطة الاحتلال الأوقاف في بداية تموز/يوليو 2020 بقرار جديد صادر عن محكمة الاحتلال بإغلاق باب الرحمة[1].

ويشكل باب الرحمة بالنسبة إلى الاحتلال ركنًا أساسيًا في مخططات الاستيلاء على المسجد، التي من بينها مخطط التقسيم المكاني ونقطة انطلاقه المنطقة الشرقية من الأقصى التي فيها باب الرحمة داخل الأقصى ومقبرة باب الرحمة الملاصقة للسور الشرقي من الناحية الخارجية.

الاعتداء على الوصاية الأردنيّة ومصادرة دور الأوقاف الإسلاميّة

تقوم سياسة الاحتلال حيال الأقصى على مبدأ يحاول فرضه وتثبيته وهو أنّ «إسرائيل» هي صاحبة السيادة على المسجد، لأنّ «من يملك الأقصى يملك القدس»، وفق تصريحات لمسؤولين إسرائيليين، وفي هذا الإطار يأتي الاستهداف الإسرائيلي للوصاية الأردنية والاعتداء عليها ليستتبّ معنى «السيادة الإسرائيلية» على الأقصى.

1 الجزيرة نت، 2020/7/13. https://bit.ly/3axFJvr

ومن أوجه هذا الاستهداف المتكرر الاعتداء على دور الأوقاف وصلاحيتها في الأقصى، ويأتي في هذا الإطار حراس المسجد بالاعتقال والإبعاد، ومن ذلك اعتقال الحارس محمد سنجلاوي في حزيران/يونيو 2020 على خلفية منعه إحدى السائحات من بث فيديو مباشر من الأقصى تتحدث فيه عن وجود معبد مكان المسجد[2]. يضاف إلى ذلك منع الحراس من الاقتراب من المستوطنين في أثناء اقتحام المسجد ومن تصويرهم وتوثيق اعتداءاتهم وأدائهم الطقوس التلمودية، وهذه الإجراءات بدأت بوضوح في أيلول/سبتمبر 2018 بحيث فرضت سلطات الاحتلال على الحراس أن يبقوا على مسافة أمتار خلف القوات الخاصة التي تمشي وراء المقتحمين لحمايتهم[3].

ومن أوجه الاعتداء الأخرى التدخل في صلاحية ترميم المسجد، وهي أساسًا للأوقاف، وتعود هذه المحاولات إلى عام 2000 عندما منع الاحتلال ترميم الجدار الجنوبي للأقصى من جهة المدرسة الخشنية والجدار الجنوبي الشرقي من جهة درج البوابات العملاقة للمصلى المرواني. وقد تعمدت سلطات الاحتلال تأخير التّرميم في ظل الانتفاضة حتى أجرت الأوقاف الترميمات المطلوبة في عام 2003 واستمرت حوالي أربع سنوات نتيجة عرقلتها من قبل الاحتلال[4]. وتكررت اعتداءات الاحتلال على صلاحية الترميم على مدى السنوات اللاحقة، وكان من أخطرها وأبرزها مؤخرًا منع الأوقاف من ترميم السور الغربي للمسجد الأقصى عند سقوط حجر ضخم منه في تموز/يوليو 2018، ومن ثم استغلال الترميم لاختراق السور، إذ رصد مقدسيون فتحات تتوارى خلف سقالات الترميم الحديدية التي نصبها الاحتلال على خلفية سقوط الحجر، في مقابلها تسوية كبيرة وراء سور الزاوية الجنوبية الغربية لا يمكن الأوقاف الوصول إليها من داخل المسجد[5].

2 الحياة الجديدة، 2020/6/12. https://bit.ly/3aDcpnC
3 الجزيرة نت، 2019/8/23. https://bit.ly/32d4Y2L
4 الأرض والمقدسات في التقرير الفلسطيني الاستراتيجي 2018-2019، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2020.
5 الجزيرة نت، 2020/7/17. https://bit.ly/3g407Wm

تعزيز الوجود اليهودي في الأقصى وتشريع الصّلوات التلمودية فيه

تزايدت أعداد المستوطنين المشاركين في اقتحام الأقصى في السنوات العشر الأخيرة قرابة سبعة أضعاف، ومن أبرز أسباب هذه الزيادة الدّعم الرّسمي الذي باتت تحظى به فكرة «المعبد» إن على مستوى «الكنيست» أو الحكومة[6]. وتعمل «جماعات المعبد» على زيادة أعداد المقتحمين حتى تتمكّن من فرض أجندتها كأمر واقع وتلزم الحكومة بتبنّي مطالبها بالسماح لليهود بأداء الصلاة اليهودية في المسجد، وبتنفيذ الاقتحامات من دون قيود زمانية أو مكانية. ويعمد المستوطنون المشاركون في الاقتحامات إلى أداء الطقوس والصلوات التلمودية فيه، وقراءة النصوص التّوراتية من هواتفهم المحمولة، وصولاً إلى أداء طقوس السجود الملحمي يوم ذكرى «خراب المعبد» في 2020/7/30 الذي تزامن مع يوم عرفة[7].

6 تقرير عين على الأقصى السنوي، مؤسسة القدس الدولية: http://alquds-online.org/index.php?s=8&cat=51
7 الجزيرة نت، 2020/7/30. https://bit.ly/2E9T01r

ولا تقف الرعاية الرسمية لـ «جماعات المعبد» عند حدّ التصريحات والوعود، بل تتعدّاها إلى الاستجابة لمطالب هذه الجماعات والتساوق معها، ففي ذكرى «خراب الهيكل» العام الماضي التي تزامنت مع اليوم الأول من عيد الأضحى في 2019/8/11، سمح الاحتلال بالاقتحامات على الرغم من أنّ المعمول به في السابق هو منع الاقتحامات بالتزامن مع مناسبات إسلامية؛ وقد كان في تلك الخطوة رسالة إلى «جماعات المعبد» لتأكيد الدّعم الرسمي لمطالبها وأنّ الاقتحامات لن تخضع لروزنامة الأعياد الإسلامية[8].

الإنشاءات والحفريات: جهود إسرائيلية مستمرّة لتغيير هوية الأقصى ومحيطه

يتجاوز مشهد الحفريات تحت الأقصى حدود الأرقام إلى كونه أحد تجلّيات المحاولات الإسرائيلية للسيطرة على الفضاء السفلي للمسجد واستغلاله لتجسيد الرواية التلمودية. ووفق تقرير نشره موقع ميدل إيست آي في 2020/7/27، فإنّ الهدف من الحفريات الإسرائيلية في القدس هو إعادة كتابة تاريخ المدينة. أما عدد الحفريات تحت الأقصى والبلدة القديمة، وفق التقرير، فليس معروفًا على وجه الدقّة إذ إنّ سلطات الاحتلال تعلن عن أنفاق محدّدة فقط فيما تمنع أيّ علماء آثار أو مسّاحين خارجيين من دراسة المنطقة[9].

8 عين على الأقصى الـ13، مؤسسة القدس الدولية، 2019. http://quds.be/x9w
9 ميدل إيست آي، 2020/7/27. https://bit.ly/3h6C4as

وإلى جانب الحفريات، يطوّق الاحتلال الأقصى بعدد من الإنشاءات لصبغ محيط المسجد بهوية يهودية تخدم روايته حول المكان. ومن هذه الإنشاءات بيت الجوهر، ومشروع تلفريك البلدة القديمة والإنشاءات الأمنية في محيط باب العمود[10].

بعد 53 عامًا على احتلال الأقصى، و51 عامًا على جريمة إحراقه، يعمل الاحتلال على ترسيخ سيطرته على المسجد مستهدفًا الوصاية الأردنية ومحاولاً فرض سيادته الكاملة على المسجد. وهو يعمل من أجل ذلك ضمن مسارات تقوم على السيطرة على ما فوق الأرض وتحتها، وعلى الفضاء المحيط بالأقصى، وعلى من يؤمّون المسجد للصلاة والرباط فيه، ما يجعل اعتداءات اليوم استكمالًا للحريق الذي أضرم في المسجد في عام 1969، ويضع الأقصى في دائرة خطر محدق لا يمكن التساهل معه أو غضّ النظر عنه.

10 الأرض والمقدسات في التقرير الفلسطيني الاستراتيجي 2018-2019. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2020.

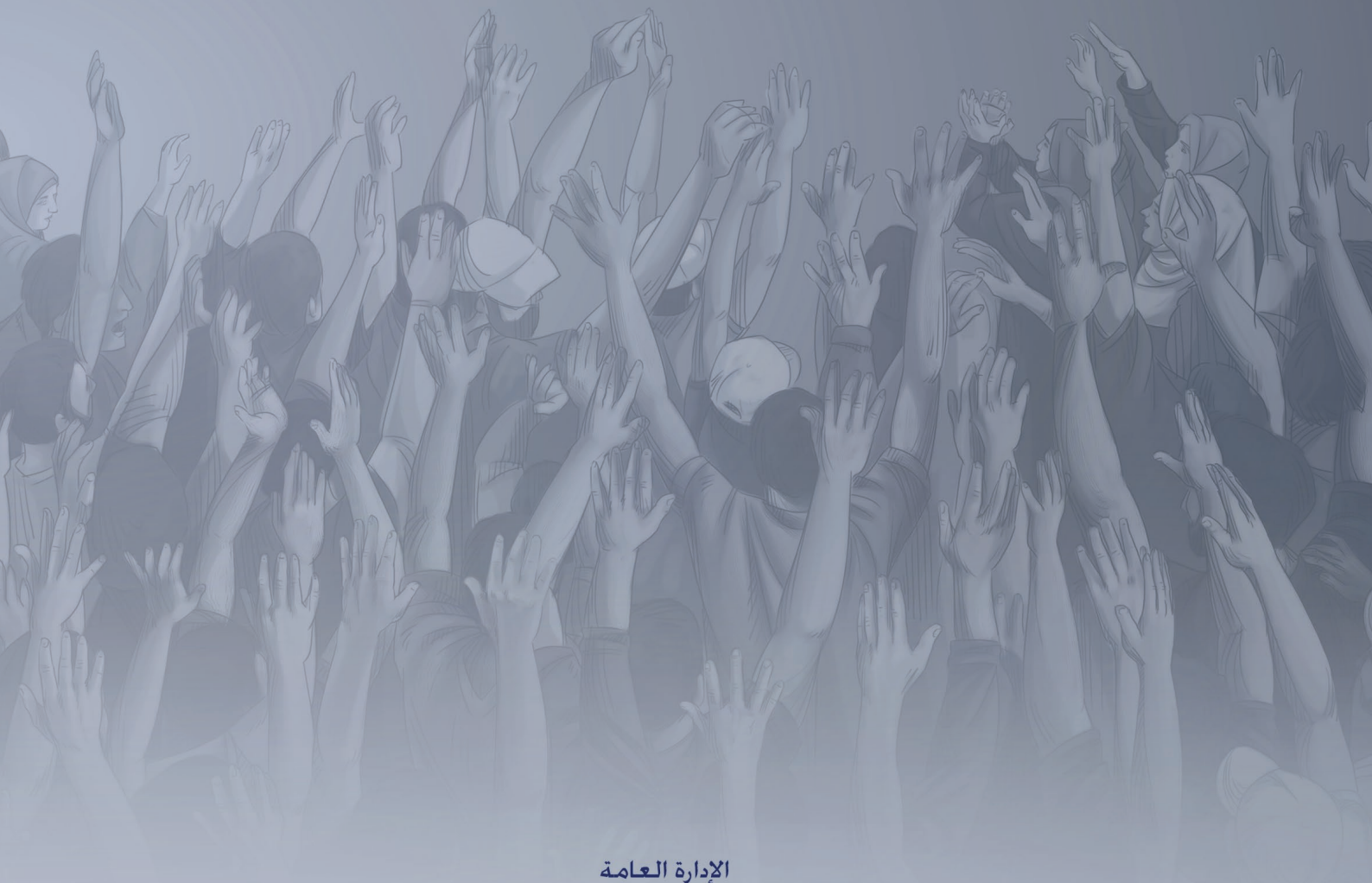

الإدارة العامة

شارع الحمرا - بناية الساروﻻ - الطابق 11

هاتف: 00961-1-751725

فاكس: 00961-1-751726

ص.ب: 113-5647 بيروت لبنان

info@alquds-online.org

www.alquds-online.org

مؤسسة القدس الدّولية

al Quds International Institution (QII)